

﴿ فَلَا أَقْنَحُ الْعُقَبَةَ ١١ ﴾ وَمَا أَدْرَكَ مَا الْعُقَبَةُ ١٢ ﴿ فَكُ رَقَبَةً ١٣ ﴾ أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ١٤ ﴿

يَنِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ ﴿ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ١٦ ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٧ ﴿

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَةِ ١٨ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَاتُوا بِرَبِّهِمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٩ ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ٢٠ ﴿

يقول الله ﷻ بعد أن بيّن نعمه، وآلاءه، على ابن آدم، المتكبر، المتجبر، الذي يحسب أن لن يقدر عليه أحد، ويحسب أن لم يره أحد :

﴿ فَلَا أَقْنَحُ الْعُقَبَةَ ١١ ﴾ ﴿ فلا ﴾ أي: فهلا ﴿ اقتحم ﴾ الاقتحام: هو مجاوزة الشيء بشدة، وسرعة.

﴿ العقبة ﴾: العقبة في اللغة: الطريق الصعب، الوعر في الجبل. وعبور هذه العقبة يحتاج إلى شدة، وسرعة، ومضي، وتحامل على النفس. فليس طريقاً مفروشاً سهلاً موطناً، بل فيه معاناة.

وقد فسرتها الآيات بعدها ﴿ ١٢ ﴾ ﴿ فَكُ رَقَبَةً ١٣ ﴾ أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ١٤ ﴿. فالمراد باقتحام العقبة: القيام بالأعمال الصالحة، الشاقة على النفس. لأن القيام بهذه الأعمال يحتاج إلى مجاهدة، ويحتاج إلى مفارقة للشهوات، وتحامل على النفس، واطراح لشهواتها، فلذلك شبهه باقتحام العقبة.

وقد عظم الله ﷻ من شأنها فقال ﴿ وَمَا أَدْرَكَ مَا الْعُقَبَةُ ١٢ ﴾ هذا الاستفهام للتعظيم، والتفخيم. ثم قال مبيناً لها ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ أي: أن اقتحام العقبة يحصل بفعل هذه الأشياء:

﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾ فكها من الرق، وذلك بالعتق.

﴿ أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾: (أو) للتنويع، ﴿ يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ يعني: في يوم شديد المجاعة، لأن الإطعام في يوم المجاعة ليس كالإطعام في غيره. حين تعم المجاعة يصبح لدى

النفس شحاً مضاعفاً في المحافظة على ما تملك، خشية أن يلحقها ما لحق غيرها. فالذي يطعم في المسغبة، ليس كالذي يطعم في الوفرة. فالعمل، وإن كانت صورته واحدة، يتفاوت بتفاوت الأحوال. قال تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا ﴾ [الحديد: ١٠].

ثم يبيِّن نوع المطعم، فقال ﴿ نَبِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ﴾ وهذا يبين، أيضاً، أن الإطعام كما أنه يتفاوت من جهة الحال، يتفاوت من حيث المُطعم، فيعظم الأجر بكون ذلك الإطعام ليتيم تربطك فيه صلة قرابة، أو مسكين أسكنته الفاقة، ذي عيال.

واليتيم: من مات أبوه، ولم يبلغ الحلم. فإذا كان ذا مقربة زاد الثواب؛ لأن الصدقة على القريب، صدقة، وصلة. والأقربون أولى بالمعروف، وابدأ بنفسك ومن تعول. فهذا يدل على فضل النفقة على القريب المحتاج، وأنه يقدم على غيره، ولهذا سوغ العلماء إخراج الزكاة عن البلد لقريب في بلد آخر.

والمسكين: هو من أسكنته الحاجة، يعني: خفضته، فتجد الفقير، صاحب الحاجة، يشعر بالضعفة، والانحطاط، بخلاف الغني، المكتفي، الذي يشعر بالزهو، والترفع.

واختلفت عبارات المفسرين في معنى متربة: فقيل أي: لصوق بالتراب، لشدة فقره، كما يقول الناس عن الفقير المدقع: ما عنده إلا التراب! لأنه لا يملك إلا أن يبحث في التراب. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - (المسكين: المطروح في التراب) وقال: هو الذي ليس له مأوى إلا التراب<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري (426/24).

وقيل في تفسير (الترتبة) أي: شديد الحاجة. وقيل هو صاحب العيال، ولا مال. وهي معاني متقاربة.

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (١٧) ﴿: (ثم) هنا، لم يرد بها الترتيب الزمني؛ بل الترتيب الذكري. يعني: ليس معنى ذلك أنه صار من الذين آمنوا بعد أن اقتحم العقبة، بل المعنى: وكان مع ذلك ﴿ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾.

﴿ تَوَاصَوْا ﴾: أي أوصى بعضهم بعضاً.

والصبر في اللغة: معناه الحبس، وهو ثلاثة أنواع:

1- صبر على طاعة الله، بالقيام بأوامره.

2- وصبر عن معصية الله، بالكف عن محارمه.

3- وصبر على أقدار الله المؤلمة، في نفسه، أو أهله، أو ماله، فيعلم أنها من عند الله،

فيرضي، ويسلم، ومنزلة الصبر من الدين، كمنزلة الرأس من الجسد. وقد أثنى الله

تعالى على الصابرين، في نحو أربعين موضعاً في القرآن.

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (المرحمة) أي: رحمة الخلق. وهذا مناسب لما تقدم من عتق الرقاب، وإطعام اليتيم، والمسكين. وفي هذا دلالة على القيم الخلقية في هذا الدين العظيم، وأنه هو دين الرحمة، والإحسان، خلافاً لما يصمه به أعداؤه، وهم أولى بذلك، من وصمه بالإرهاب، وغير ذلك من ألقاب السوء.

﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمِعْنَةِ ﴾ (١٨) ﴿ المشار إليهم الذين اقتحموا العقبة، بفعل هذه الأعمال الجليلة. والناس: إما أصحاب ميمنة، وإما أصحاب مشأمة. فأصحاب اليمين، نخبهم هم

السابقون، يقابلهم أصحاب المشأمة، أصحاب الشمال. وهذا التقسيم موجود في كتاب الله - ﷻ - في غير ما موضع.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (١٩) فالمشأمة أي: الشمال، وفيها أيضًا، معنى الشؤم.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ (٢٠) عبر بـ(على) ولم يعبر بـ(في) وذلك لإطباقها عليهم. فمعنى ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾: مطبقة مغلقة - أجازنا الله وإياكم - لا منفذ لهم، قد أوصدت أبوابها، وأغلقت عليهم، لا يخرجون منها ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

### الفوائد المستنبطة

الفائدة الأولى: مشقة الأعمال الصالحة على النفس.

الفائدة الثانية: الحاجة إلى المجاهدة.

الفائدة الثالثة: فضل عتق الرقاب، وإطعام الطعام لذوي القربى والحاجة.

الفائدة الرابعة: أن من أبرز صفات المؤمنين الصبر، والمرحمة.

الفائدة الخامسة: حسن عاقبة المؤمنين.

الفائدة السادسة: شؤم عاقبة الكافرين.

الفائدة السابعة: إثبات البعث، والجنة، والنار.